

الدكتور يحي بوعزيز محققا: كتاب روضة النسرین نموذجاً

أ.د. عبد القادر بويابة

قسم التاريخ، جامعة وهران

مقدمة: يعتبر الدكتور يحي بوعزيز واحداً من رواد قسم التاريخ بجامعة وهران السانية حيث ساهم منذ التحاقه به في تكوين آلاف الحاملين لشهادة الليسانس في التاريخ الذين غرس فيهم روح الوطنية وحب الجزائر، كما ساهم بفضل عشرات الكتب التي ألفها، والمقالات التي نشرها في المجلات الوطنية والدولية، وعشرات المحاضرات التي ألقاها في الملتقيات الوطنية والدولة في إثراء المكتبة الجزائرية خاصة، والمكتبات العربية عامة.

كما ساهم في نشر عدة مخطوطات كانت هي الأخرى معينا للباحثين الذين انتفعوا بها في بحوثهم الجامعية والعلمية، ومن أبرز المخطوطات التي نشرها نذكر كتاب طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود للمزاري، وسيرة الأمير عبد القادر وجهاده لمصطفى بن التهامي، وروضة النسرین في التعريف بالأشياء الأربعة المتأخرين للشيخ محمد ابن سعد الأنصاري التلمساني الذي سنعمل من خلاله على إبراز منهجه في التحقيق، وتقييم هذا العمل مع تبيان مدى التزامه بالمنهج العلمي للتحقيق.

وقبل تسليط الضوء على منهج الدكتور يحي بوعزيز في مجال تحقيق التراث المخطوط، سأعرف بإيجاز بالمحقق الذي يعتبر واحداً من أبرز المؤرخين الجزائريين في فترة ما بعد الاستعمار الفرنسي اعترافاً بما أسداه لأجيال الاستقلال من خدمات سواء تعلق الأمر بالتدريس أو بتأليفه لعدد ضخم من الكتب التي تعتبر من المراجع الهامة التي لا يمكن لطلبة العلم، وبخاصة منهم المختصين في التاريخ الاستغناء

عنها، وبمؤلف الكتاب الذي يعتبر من كبار علماء تلمسان خلال القرن التاسع الهجري، وهو محمد بن أحمد بن سعد التلمساني المتوفى سنة 901هـ/1496م.

نبذة عن المحقق: الدكتور يحي بوعزيز من مواليد 27 ماي 1929م بقرية الجعافرة - ولاية برج بوعرييج، حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ اللغة العربية والفروض الدينية على والده الشيخ عبد الرحمن، وفي عام 1947م التحق بزاوية الشيخ حسن الطرابلسي بعنابة، وفي سنة 1949م التحق بجامعة الزيتونة بتونس أين تحصل على شهادة الأهلية بامتياز عام 1953م، كما تحصل على شهادة التحصيل عام 1956م، وفي خريف 1957م التحق بكلية الآداب - جامعة القاهرة، وحصل على شهادة الليسانس في التاريخ عام 1962م، وتحصل على الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة الجزائر سنة 1976م.

اشتغل خلال إقامته بتونس في ميدان الصحافة، ونشر عشرات المقالات في الصحف والمجلات، ونشر كتاباً عن جهاد الأمير عبد القادر عام 1957م، وكان عضواً في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، ورئيس اللجنة الثقافية في تونس والقاهرة، وفي مصر اشترك في إذاعة حصص عن كفاح الشعب الجزائري في إذاعة صوت العرب، وتحرير مجلة الطالب الجزائري.

بعد عودته إلى أرض الوطن اشتغل في التدريس، وعين عضواً في لجنة التأليف المدرسي الوزارية عام 1963م، وألف كتاب الموجز في تاريخ الجزائر سنة 1965م، وكلف عام 1969م بتأليف كتاب مدرسي في التاريخ الحديث والمعاصر للسنة الأولى ثانوي، وأنجزه مع زميلين آخرين، ونشر بعد ذلك مائة مقال، وثلاثاً وثلاثين كتاب عن تاريخ وكفاح وحضارة الجزائر، وله عدة كتب مخطوطة منها مذكرات القرن الذي يعتبر سيرة ذاتية للمؤلف.

اشتغل أستاذاً للتاريخ الحديث والمعاصر في جامعة وهران السانية حتى تقاعده آخر عام 1996م، وكان عضواً مؤسساً لاتحاد الكتاب الجزائريين واتحاد المؤرخين الجزائريين، وشارك في معظم ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر إضافة إلى عدد ضخم من الملتقيات الوطنية والدولية.

التعريف بمؤلف روضة النسرین: هو [أبو عبد الله] عبيد الله محمد [بن أحمد] بن أبي الفضل بن سعيد بن سعد الأنصاري التلمساني، من أكابر علماء تلمسان وفقهائها (ابن مريم، م. 1986: 251/ الحفناوي، م. 1985: 151).

قال محمد ابن مخلوف عنه: الفقيه العلامة العمدة المحصل الفهامة، أخذ عن أعلام منهم أبي عبد الله محمد بن العباس العبادي التلمساني المتوفى سنة 871هـ/ 1466م (مخلوف، م. 2003: 381- 382)، وأبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي المتوفى سنة 899هـ/ 1493م (مخلوف، م. 2003: 385- 386)، وأبي عبد الله محمد بن يوسف الحسني السنوسي المتوفى في جمادى الآخرة سنة 895هـ/ 1489م (مخلوف، م. 2003: 384- 385)، وأبي إسحاق إبراهيم بن محمد التازي المتوفى في شعبان سنة 866هـ/ 1461م، وقال محقق روضة النسرین إنهم أخذوا عنه وتعلموا عليه، والعكس هو الصحيح. (مخلوف، م. 2003: 384/ ابن سعد، م. 2002: 11).

ومن مؤلفاته: 1- النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب ولا يزال مخطوطاً (بوداود، ع. 2003- 2004: 35- 44).

2- روضة النسرین في التعريف بالأشياء الأربعة المتأخرين، وتوجد نسخة مخطوطة منه في المكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 2596، وتقع في 497 صفحة، وهي مكتوبة بخط واضح وكبير الحجم، وهي التي اعتمد عليها الدكتور يحيى بوعزيز في تحقيقه (ابن سعد، م. 2002: 42)، ونسخة أخرى تحمل الرقم ك 1006، وتوجد بالخزانة العامة بالرباط (ابن سعد، م. 2002: 5- 6).

3- كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو عبارة عن قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوجد ضمن مجموع في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 2404 - صص 330 - 332 (ابن سعد، م. 2002: 42).

ومما قاله فيه محمد العربي الغرناطي، أحد فضلاء الأندلس:

إذا جئت لتلمسان فقل لصنديدها ابن سعد

علمك فاق كل علم ومجدك فاق كل مجد

وكانت وفاته بالقاهرة في رجب من عام 901هـ/1496م (ابن مريم، م. 1986: 251 - 252/ابن القاضي، أ. 2002: 205/مخلوف، م. 2003: 387).

موضوع كتاب روضة النسرین: عاصر ابن سعد التلمساني أربعة من شيوخ العلم والتصوف ترجم لهم في كتابه، وهم محمد بن عمر الهواري والحسن أبركان وإبراهيم التازي وأحمد الغماري.

دوافع تأليف الكتاب: جاء في مقدمة الكتاب قول ابن سعد "هذا الكتاب روضة النسرین في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين مما اختصره مؤلفه من كتابه الكبير المعروف باسم "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب" (ابن سعد، م. 2002: 45)، ثم يقول: "فهذا كتاب اختصرناه من كتابنا الكبير المؤلف في أخبار الصالحين، ويقصد به كتاب "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب"، واقتصرنا فيه على الشيوخ الأربعة المتأخرين إسعافاً لمن سأل منا ذلك من فضلاء الإخوان وأكابر الفقهاء بمدينة وهران" (ابن سعد، م. 2002: 47).

منهج الدكتور يحيى بوعزيز في التحقيق: اعتمد المحقق على نسختين، يقول إن الأولى توجد في المكتبة الوطنية بالجزائر تحمل الرقم 2596، وتتألف من 147 ورقة، ثم أعطي وصفها ومحتواها، وعلق على ذلك بقوله إن تراجم العلماء الأربعة غير متوازنة، وتمّ ترتيبهم حسب تاريخ وفاتهم، حيث بدأ مؤلف الكتاب بالشيخ محمد بن عمر الهواري (751 - 843هـ/1350 - 1439م) الذي خصّص له 190 صفحة، أي من الصفحة الأولى إلى الصفحة 190 (ابن سعد، م. 2002: 47 - 123)، والشيخ الحسن أبركان (المتوفى آخر شوال 857هـ/2 نوفمبر 1453م) الذي خصّص له 54 صفحة، أي من الصفحة 191 إلى الصفحة 245 (ابن سعد، م. 2002: 125 - 142)، والشيخ إبراهيم التازي (المتوفى في 8 شعبان 866هـ/9 ماي 1462م) الذي استغرق الحديث عنه 114 صفحة، أي من الصفحة 245 إلى الصفحة 359 (ابن سعد، م. 2002: 143 - 191)، وأخيراً الشيخ أحمد الغماري المتوفى يوم 12 شوال 874هـ/14 أبريل 1470م الذي خصّص المؤلف بـ 147 صفحة، أي من الصفحة 360 إلى الصفحة 496 (ابن سعد، م. 2002: 193 - 239).

النسخة الثانية: توجد بالخزانة العامة في الرباط، وتحمل رقم ك 1006، ويقول إنها تقع ضمن "مجموعة أوراق" - والصواب ضمن مجموع- ويبلغ عدد صفحاتها 82 صفحة أي من الصفحة 450 إلى الصفحة 531، وهي مبتورة من صفحتين (507 و508) تتعلقان بترجمة إبراهيم التازي، ومعظم الصفحات المتعلقة بترجمة الغماري حيث لم يبق منها إلا 11 سطراً الأولى (ابن سعد، م. 2002: 5-6). ويشير إلى أن الشخص الذي زوده بهذه النسخة أعلمه بأن عنوانها هو "روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين"، ويعلق على ذلك بقوله: "ونحن نميل إلى رأيه وُرجّحه"، ويؤكد أن العنوان ذاته - مع استبدال كلمة المتأخرين بالصالحين - ورد عند الشيخ بلهاشمي بن بكار في كتابه مجموع الحسب والنسب دون أن يشير إلى مكانه من الكتاب (ابن سعد، م. 2002: 6)، ويورد المحقق رسالة عبد العزيز الساوري الموظف في ديوان وزارة الشؤون الثقافية المغربية (ابن سعد، م. 2002: 7). ثم يذكر أنه اعتمد أساساً على نسخة الجزائر لأنها كاملة واضحة ونقية، ومعنى ذلك أنه تجاهل النسخة الموجودة في الخزانة العامة بالرباط إذ لا يشير إليها مطلقاً في أثناء التحقيق.

كما أشار إلى وضعه لعناوين حسب الموضوعات نظراً لعدم وجودها في المخطوطة المعتمدة في التحقيق، وقام في مقدمة التحقيق بتقديم ترجمة مختصرة لمؤلف الكتاب، وتراجم مختصرة للعلماء الأربعة الذين خصّ ابن سعد كتابه من أجل ذكر مناقبهم، وبرّر إقدامه على ذلك العمل بقوله: إنّ "النص الأصلي محشو بالاستطرادات والحكايات والطرائف والنوادر، وخوارق العادات التي كثيراً ما تكون خارجة عن الموضوع، ومحشو كذلك بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، والأشعار الملحونة والأمثال، والقصص التاريخية والاجتماعية، وتلك هي طريقة مؤلف ذلك العصر" (ابن سعد، م. 2002: 8).

أورد المحقق تعريفاً مختصراً للشيخ ابن سعد التلمساني؛ فذكر نسبه وعصره (القرن فقط)، وذكر إشادة من ترجم له به، وذكر مؤلفاته، وما قاله فيه أحد الشعراء، كما ذكر أسماء تلامذته فقط، ورحلته إلى المشرق، ومحاولة

تحديد غرضه منها دون أي معلومة عن تاريخ الرحلة وتاريخ الحج، وأشار في آخر الترجمة إلى تاريخ وفاته بالقاهرة (ابن سعد، م. 2002: 11-12).

ذكر المحقق أيضاً معاصرة ابن سعد الأنصاري التلمساني للشيخ الأربعة الذين ترجمهم في كتابيه النجم الثاقب وفي روضة النسرين الذي يعود مجدداً إلى عنوانه فيقول: "وعنوانه الصحيح روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين"، وهو يناقض نفسه حيث أشار فيما سبق إلى موافقته لما ذكره السائري في الرسالة التي بعث بها إليه مع نسخة الخزنة العامة بالرباط.

ثم يعود لذكر من ترجم لابن سعد مثل أحمد بن يحيى الونشريسي في كتاب المعيار المغرب والجامع المغرب لفتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، وأبي العباس أحمد المقرئ التلمساني في كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، ومحمد بن محمد مخلوف في شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، وأحمد بن القاضي المكناسي في درة الحجال في غرة أسماء الرجال، ومحمد بن محمد المعروف بابن مريم في كتاب البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ومحمد الحفناوي في كتاب تعريف الخلف برجال السلف، وخير الدين الزركلي في الأعلام، وكارل بروكلمان في تاريخ الشعوب الإسلامية - لا يوجد هناك ذكر لابن سعد الأنصاري - دون تحديد مكان تواجد هذه التراجم (ابن سعد، م. 2002: 12).

وختم مقدمة التحقيق بالترجمة للشيخ الأربعة؛ فبدأ بالشيخ محمد بن عمر الهواري (ابن سعد، م. 2002: 15-23)، ثم الشيخ الحسن أبركان (ابن سعد، م. 2002: 25)؛ والشيخ إبراهيم التازي مع إيراد مقاطع من شعره الغزير (ابن سعد، م. 2002: 27-33)، وقصيدة المرادية له نقلا عن كتاب "المواهب القدسية في المناقب السنوسية" للملاي دون ذكر الصفحات التي توجد بها ضمن الكتاب (ابن سعد، م. 2002: 35-39)، وفي الأخير ترجمة الشيخ أحمد الغماري (ابن سعد، م. 2002: 41).

بعد انتهائه من هذه المقدمة أورد نص كتاب روضة النسرین بداية من الصفحة 47، واكتفى خلالها بكتابة النص الوارد في المخطوطة المعتمدة في التحقيق مع وضع عناوين مميزة لكل فقرة من الكتاب، وتحديد صفحة المخطوطة، وأبرز الملاحظات التي يمكن إبدائها عن التحقيق هي:

❖ الهوامش: أورد المحقق طيلة تحقيقه لنص الكتاب أربعة عشر هامشاً تتعلق في معظمها بذكر التواريخ الميلادية المقابلة للسنوات الهجرية الواردة في متن الكتاب، والاستثناء هو ثلاثة هوامش هي:

الهامش الخامس الوارد في الصفحة 142، ومضمونه: "يقصد بالخليفة أمير تلمسان الزياني".

الهامش السادس عشر الوارد في الصفحة 200، وهو قوله: "يقصد المائة الثامنة من الهجرة".

الهامش السابع عشر الوارد في نفس الصفحة، ويقول فيه: "يبدو أنه خطأ لأن الذي دأب على حصار تلمسان هم ملوك بني مرين" تعليقا على قول المؤلف: "جزنا بتلمسان؛ فوجدناها محصورة من قبل ملك الموحدين"، والمؤلف يتحدث عن أوائل العشرة الرابعة من هذه المائة أي المائة الثامنة للهجرة مع العلم أن الموحدين قد حاصروا قبل ذلك مدينة تلمسان، ومن ذلك محاصرتها من طرف عبد المؤمن بن علي عندما تحصّن بها تاشفين بن علي وجيشه قبل توجهه إلى وهران ومقتله بها سنة 539هـ/1144م.

❖ بعد انتهائه من كتابة المتن ذيله بقائمة ذكر فيها على حدّ تعبيره "بعض المراجع ذات الصلة بالموضوع" دون أن يكون لها ذكر في صفحات التحقيق.

❖ وختم الكتاب بفهرس خصّصه لموضوعات الكتاب.

من خلال دراستنا لهذا المؤلف، والعمل الذي قام به المحقق تبين لنا أنه لم يتبع القواعد المتعارف عليها في مجال التحقيق العلمي للتراث المخطوط؛ فهو لم يتبع منهج المستشرقين الذي يقوم على كتابة نص النسخة الأصلية، وإثبات الاختلافات الموجودة بينها وبين النسخ الأخرى في الهامش، ولا بمنهج المحققين العرب الذي يقوم

على أساس اعتماد نسخة أصلية، ومقارنتها مع بقية النسخ، وإثبات الاختلافات في الهوامش فضلاً على تحقيق الأعلام البشرية والجغرافية، وتخريج الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وتحريك الأبيات الشعرية، وإثبات فهارس مختلفة في نهاية التحقيق.

كما أنه لم يتم بإثبات صور الصفحات الأولى والأخيرة للنسخ المعتمدة في التحقيق ليؤكد اعتماده على أكثر من نسخة، وهو أيضاً من الشروط المطلوبة في التحقيق العلمي.

ولم يتم بتحريك الأبيات الشعرية الكثيرة التي وردت في متن الكتاب، كما أنه لم يخرج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وهي كثيرة جداً بشهادة المحقق نفسه.

والأكثر من هذا أنه لم يتم بتعريف بالأعلام البشرية الواردة في المتن مثل موسى العبدوسي وأحمد القباب وعبد الرحمن الوغليسي وأحمد بن إدريس وغيرهم، والأعلام الجغرافية التي ذكرها المؤلف في كتابه ومنها كلميتو. لم يتم المحقق أيضاً بتصويب الأخطاء الواردة في النسخة المعتمدة في التحقيق، ومن الأمثلة على ذلك:

قال المؤلف متحدثاً عن الشيخ محمد بن عمر الهواري: "وكان زاهداً حتى في الكتب العلمية... فكان لا يفتقر في مجالسه العلمية تواليفه في الفقه والمناسك والآداب إلى مطالعة كتاب، ولا مراجعة شيء بجميع العلوم، وتحصيله منها المنقول والمفهوم، وما كان يطالع في ذلك سوى مجرد فكرة السليم ونظرة المسدد القويم"، ولعلّ الصواب هو "فكره السليم ونظره المسدد القويم" (ابن سعد، م. 2002: 58).

قال ابن سعد أيضاً: "قال: بينا أنا في الطواف إذ رأيت جارية متعلقة بأستار الكعبة، وهي تقول: إلهي وسيدي إن **طالبتي** بحفظك طالبتك بعفوك، وإن أخذتني... وإن أدخلتني..." (ابن سعد، م. 2002: 180).

"قال المؤلف... هذا الشيخ الوهراني... عرّف به أبو القاسم بن بشكوال في كتابه المؤلف في رجال الأندلس فقال: عبد الرحمن بن عبد الله ... ويُعرف بابن

الخرّاز... حدثوا عنه أنه قال: لما رويت الجامع الصحيح بخراسان...؛ فلما أصبحت صليت بقومي الفريضة، ثم انصرفت إلى منزلي فقلت لهم:...؛ فلما طلع النهار إلا وقد بدت لي حروفه" (ابن سعد، م. 2002: 183 - 184).

وإذا عدنا إلى ابن بشكوال نجده يقول: "قال: لما وصلت إلى مدينة مرو من مدائن خراسان سمعت الجامع الصحيح على محمد بن عمر...؛ فلما أصبحت غدوت إلى المسجد؛ فصليت بقومي الفريضة، ثم انصرفت...؛ فلما طلع النهار... ثم تماديت في القراءة إلى الظهر" (ابن بشكوال، خ. 2003: 262).

قال المؤلف: "وفي كتاب عنوان الدراية المؤلف في علماء بجاية: ومنهم الشيخ الفقيه العابد الصالح المبارك المتعفف المذكر أبو تميم (ابن سعد، م. 2002: 185)، ولكن الاسم الوارد عند الغبريني في عنوان الدراية هو أبو تمام (الغبريني، أ. 1981: 179).

خاتمة: من خلال ما سبق ذكره يتبين لنا المنهج الذي اتبعه الدكتور يحي بوعزيز في تحقيقه لثلاثة من المخطوطات التي تعنى بتاريخ المغرب عامة وتاريخ الجزائر بصفة خاصة، وهو منهج يختلف عن المناهج المتبعة من طرف محققي التراث المخطوط سواء تعلق الأمر بالمستشرقين أو بالمؤرخين العرب.

إن نشر التراث المخطوط دون تحقيق علمي لمحتواه يجعل الاستفادة من هذا العمل ناقصاً، وبخاصة بالنسبة للباحثين الشباب غير المتمرسين بمثل هذه المؤلفات، وعلى العكس من ذلك فإن التحقيق العلمي لهذه المخطوطات من خلال مقارنة أكثر من نسخة للمخطوط، وتحقيق الأعلام البشرية والجغرافية، وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وتصويب الأخطاء الواردة في هذه المخطوطات من شأنه أن يجعل الاستفادة منها أكثر للباحثين عامة، ولطلبة التدرج وما بعد التدرج بصفة أخص.

وعلى الرغم مما ذكر سابقاً؛ فإن المحقق قد وفر للباحثين متن أحد المخطوطات الهامة المتعلقة بمناقب أعلام التصوف في المغرب الأوسط، ومن خلالهم الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية لهذه المنطقة خلال القرن التاسع الهجري.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك - كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس - تحقيق صلاح الدين الهواري - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ط3 - 1142هـ - 2003م.
- 2- بوداود عبيد - قراءة في مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب - مجلة عصور - مخبر مصادر وتراجم - قسم التاريخ - جامعة وهران - ع 4 - 5 - السنة الثالثة - ديسمبر 2003م - جوان 2004م / 1424 - 1425هـ.
- 3- الحفناوي أبو القاسم محمد - تعريف الخلف برجال السلف - مؤسسة الرسالة - المكتبة العتيقة - تونس - بيروت - ط2 - 1405هـ - 1985م.
- 4- ابن سعد التلمساني - روضة النسرین في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين - مراجعة وتحقيق يحي بوعزيز - منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار - الجزائر - ط1 - 2002م.
- 5- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية - تحقيق رابح بونار - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1981م.
- 6- ابن القاضي المكناسي أبو العباس أحمد بن محمد - درة الحجال في غرة أسماء الرجال - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 1423هـ - 2002م.
- 7- مخلوف محمد بن محمد - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية - تحقيق عبد المجيد خيالي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 1424هـ - 2003م.
- 8- ابن مريم المليتي المديوني أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1986م.